الأنساق الثقافية لتطور دلالة الألفاظ في اللغة العربية

Cultural patterns of the evolution of semantics in the Arabic language

أ.م.د. عبير بدر عبد الستار البدر

جامعة المستنصرية–كلية الاداب– قسم اللغة العربية

Dr. Aber Al-Bader

Almustansiriyah university –college of art، Arabic language department

Email: abeer.albadr@yahoo.com

المستخلص :

إن الإرث الحضاري الذي تحمله اللغة العربية ينتج استعمالات لغوية خاصة بالعربية ، وتكشف لنا المكونات الفكرية والثقافية التي أنتجت تطور دلالات الألفاظ وشملتها بخصوصية عن أنساق مخبوءة ولكنها مهيمنة وهي التي وجهت انطلاق تطور المعنى من هذا الاتجاه دون غيره.وهي التي تجعل اللغات تختلف وتتباين فكثير من الألفاظ في اللغة العربية لا نجد لها مقابلا دقيقا في اللغات الأخرى والعكس يمكن أن يكون صحيحا. والبحث محاولة واعدة لاستجلاء بعضا من هذه الأنساق وتحليلها دلاليا لبيان أثرها في تطور دلالة اللفظ.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، التغير الدلالي، التطور الدلالي، الانساق الثقافية، الألفاظ العربية.

Abstract:

The cultural heritage that the Arabic language carries produces linguistic uses specific to Arabic. Besides the intellectual and cultural components that produced the

evolution of semantics and included them in privacy reveal hidden but dominant forms which directed the launch of the development of meaning from this direction alone.

The research is a promising attempt to clarify some of these patterns and analyze them semanticly to show their impact on the development of the meaning of the word.

١. اللغة والثقافة المهيمنة:

إن كل لفظ في أي لغة محاط بنسق ثقافي، وهي أنساق مهيمنة تطبع اللفظ إذا تطور دلاليا بخصوصية ثقافية، ويمكن للمتتبع لتغيرات المعنى الذي جرت على هذا اللفظ أن يحدد ماهيتها، فاللغة تحافظ عـلى ترابط بنيتها ومعانيها عبر المحافظة على الارتباط بهذه المحددات النسقية لثقافتها على الرغم من أن التطور الدلالي دائم الحصول في اللغة، فتطور دلالة الألفاظ لا يحدث خارج التصورات الثقافية للجماعة اللغوية الواحدة لأن أي تطور دلالي يحدث خارج التجربة الإنسانية لأبناء اللغة ممكن أن يؤدي إلى انعدام الفهم والتواصل، ومن هنا كان التطور الدلالي منبثقا عن أنساق ثقافية مخبوءة، ولكنها متحكمة.

لقد قامت كثير من الألفاظ العربية بتطوير دلالاتها بما يتلاءم مع خصائص العربية وصفات أبنائها وطبيعة الحياة التي يعيشونها، فكل شعب يمتاز بسمات خاصة تتضح للذي تسنح له فرصة السفر خارج وطنه ؛إذ يستغرب من طريقة فعل الأشياء المختلفة عما تعود أن يفعلها في لغته وما يراه في أمكنة أخرى من طرائق.(ينظر مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية/ تأليف: لويس مير/ ترجمة: شاكر مصطفى سليم / ط٢ / بغداد / دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٢م: ٩).

وتحدد اللغة نظرة الإنسان إلى العالم لأنها تحمل رؤى محدثيها وتحاكي أفكارهم وحياتهم بما يتعذر على لغة غيرهم التعبير عنها، ومن يتعلم لغة جديدة يكتسب نظرة تحليلية مغايرة يتواصل بها مع الناس غير تلك التي عليها في لغته عن طريق استعمال أبنية لغوية جديدة تعكس الواقع والعالم بطريقة مختلفة عما هي في لغته الأم .

ويمكننا تشخيص عناصر ثقافية تؤثر في اللغة العربية وتجعلها تطور ألفاظها دلاليا من دلالة إلى أخرى من غير أن يحدث هذا التطور الدلالي في لغة أخرى، وهذا ما يجعل اللغات تتشعب إلى فصائل ومجموعات مختلفة .

إن التطور الدلالي يجعل اللغات تبني خصوصياتها المستقلة ، الأمر الذي يجعل الترجمة عسيرة على المترجم ؛ لأنه في كثير من الأحيان لا يجد المقابل اللغوي الذي يعطي دلالة تامة بين اللغتين.

ومن دراسة التطور الدلالي في المعاجم العربية نرى أن إنتاج الكلمات الجديدة يبقى مرتبطا بالحياة البدوية وقيمها وصفات أهلها وأنماط تفكيرهم ، فلا نجد للحياة في الحواضر أثرا يماثل الأثر الذي تفرضه حياة الصحراء والفلوات على العربية من نسق يبقى مهيمنا يستشعره المطالع للمعجمات العربية القديمة.

ومن هنا يمكننا القول أن النسق الثقافي في أي لغة يفرض على اللفظ قيودا عند اكتسابه معنى جديدا؛ إذ يظل مشدودا له ويدور في فلكه بوصفه جزءا جزءا مهما في استمرار التواصل والإفهام، يقول سعيد بنكراد:((إن التوالد الدلالي ليس تلقائيا بالمعنى الذي يمنح الكلمة القدرة على احتضان كل الدلالات وتصريفها وفق حاجات موجودة خارج الإكراه الثقافي الذي يتحكم في استعمالها . إن الكلمة هي في الأصل استعمال ثقافي ، وهذا الاستعمال هو المسؤول عن تعدد الدلالات وتنوعها . هناك ضغط الحاجات التواصلية الذي يقود إلى فهم المباشر من الدلالات ، وهناك الوعاء الثقافي الذي يقتضي تأويلا يخصص الواقعة البلاغية ويكشف عن مضمونها ضمنه. إن المعنى ليس كما يقاس حجمه بحجم الشيء المسمى بل هو واقعة ثقافية في المقام الأول)) مسالك المعنى بنكراد: ٨٠)

ويقول أولمان عن المعنى: ((بأنه علاقة بين اللفظ والمدلول ... وعلى هذا يقع التغير في المعنى كلما وجد أي تغير في العلاقة الأساسية.))(دور الكلمة في اللغة/ ستيفن اولمان / ترجمة كمال محمد بشر/ الناشر مكتبة الشباب:)

((ومعنى هذا أن تغير المعنى يمس جانب اللفظ بصورة أساسية، وأننا حينما نعالج موضوع تغير المعنى لا نعالجه منعزلا، وإنما في ضوء الألفاظ التي ترتبط بالمعاني المتغيرة وتعبر عنها)). (علم الدلالة: أحمد مختار عمر/مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع/ ط١/ ١٩٨٢م: ٢٣٥. ٢٣٦)

إن أحاسيس الناس وأفكارهم تتناقل جيلا بعد جيل تناقلا غير محسوس ، وهم يصدرون عنها في اللغة التي يتكلمونها متجاوزين بعد الزمن وطبيعة تلك اللغة في زمنها الأول، والأدلة على ذلك يمكن إدراكها بسهولة إذا حاولنا البحث عن دلالة اللفظ الأولى.

ودراسة التطور الدلالي توقف دارسها على فوائد جمة ، فيمكن بها أن نتصور علما لسيكولوجية الشعوب يقوم على اختيار التغييرات المختلفة التي تشاهد في اللغات التي يتكلمونها خاصة بالمعنى ، وقد تكون هذه الدراسة مضنية ، ولكنها تستحق ما ينفق فيها من عناء، بل من الممكن ألا نخرج منها بنتيجة محددة وأن نصل في النهاية إلى الكشف أن عند جميع الشعوب اتجاهات سيكولوجية واحدة على وجه التقريب هي ميول العقل الإنساني نفسه، ولكن قد نصل أيضا إلى إقامة بعض الحدود وتحديد بعض دقيق الفروق (ينظر: اللغة / فندريس/ عبد الحميد الدواخلي محمد القصاص ٢٦٦. ٢٧٧) ، وخصائص التطور الدلالي سيد مصطفى أبو طالب (www.alukah.net/literature_language)

٢. انساق تطور دلالة الألفاظ في اللغة العربية

يدرك المطالع للمعجمات العربية والراصد لتطور دلالة ألفاظها أن هناك أنساقا ثقافية هي المؤثر الأساس في المعاني التي تغيرت دلالتها، فالمعنى لا يمكن أن ينقطع عن أصل دلالته بادئ ذي بدء لأن ذلك يجعله غير قادر على التواصل والإفهام اللذين هما الهدف من اللغة ومن أهم الأنساق التي يمكن رصدها في حركة تطور الألفاظ العربية هي:

أ . الحياة البدوية:

على الرغم من تحضر المجتمع العربي إلا أنه ظل محتفظا بكثير من قيم البداوة، فقد تمثلت الصحراء بقيمها وأشيائها في كل جوانب حياة العربي فصرنا إذا راجعنا الشعر الذي هو ديوان العرب نجد أن الشعراء قد تناولوا كل جانب من جوانبها وكل صور الشاعر منتزعة من هذه البيئة البدوية حتى من سكن الحواضر وعاش فيها.(ينظر : الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري مؤسسة الرسالة بيروت. ط١٩٩٧،١٨٩.٨ الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي،، بيداء العبادي/ دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ط١، بغداد٢٠١٣: ١٢٦) .

ومن يطالع المعجمات العربية يدرك طبيعة الحياة التي عاشها العرب في الصحارى المترامية الأطراف لشيوع أشيائها في ألفاظهم وعباراتهم ، لأن للطبيعة الجغرافية أثرها في اللغة ، فالأسكيمو وهم القوم الذين يسكنون القطب الشمالي يعيشون فيه والثلج يحيط بهم من كل جانب ، نجد في لغتهم كلمات مختلفة للدلالة على الثلج المتساقط والثلج على الأرض ، والثلج المتجمد، والثلج المغبر، والثلج الذائب...إلخ (علم الدلالة، كلود وجرمان وريمون لوبان، ترجمة هدى لوشن، دار الفاضل، دمشق١٩٩٤: ٣٦)

وهكذا عبرت اللغة العربية عن جزئيات الحياة العربية في الفلاة واشتملت ألفاظها على التعبير عن مظاهرها المختلفة ، فالإبل من لوازم الصحراء المهمة للحياة فيها جمعت العربية لأنواع سيرها تفصيلا لا نجد له مثيلا في لغات أخرى ، نذكر منها : ((العنق الفسيح، المسيطر أوسع منه، والتزيد فوق ذلك تزيدت فهي تتزيد والذميل فوق التزيد ذمل البعير يذمل وذملانا...))(التلخيص في معرفة أسماء الأشياء/ لأبي هلال العسكري ت٤٠٠هـ تحقيق : عزة حسن/ دمشق ١٣٩٠هـ . ١٩٧٠م :٢/٦٠٠)

ووضع العرب لأسنان البقر تسميات مختلفة فـ ((قالوا لولد البقرة حين تضعه أمه (عجل) ثمّ (تبيع) وهو الجذع. وبعضهم يقول: تبيع إلى ثمانية أشهر أو تسعة ، جذع إذا تمت سنة ثم هو في السنة الثانية (ثني)،والأنثى ثنية ثم في السنة الثالثة (رباع) والأنثى (رباعية) وفي السنة الرابعــة (سدس) و (سديس) ، والذكر والأنثى منه سواء ،

وفي السنة الخامسة (صالغ)، والأنثى (صالغة). (التلخيص في معرفة الأسماء والأشياء/ لأبي هلال العسكري،: ٦٢١/٢).

إن كثرة التفصيل في هذه المسميات يدل على عناية بها فضلا عن أهميتها في حياة العرب وتوافرها في بيئتهم العربية الصحراوية .

ولا يحدث التطور الدلالي حدوثا مفاجئا لضرورة الإبقاء على متطلبات التفاهم في البيئة الواحدة بين متكلمي اللغة الواحدة، فالمنطلقات تكون موحدة ليسهل معرفة وجه التطور الدلالي(الألسنية علم اللغة الحديث/ ميشال زكريا/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر/ الطبعة الثانية/بيروت/١٩٨٣: ١١٧).

وعبرت اللغة عن نمط الحياة الجديدة التي عاش فيها العرب بتطوير دلالات الألفاظ إلى دلالات جديدة لم تكن في العربية بإيجاد علاقة بين المعنى القديم والمعنى الجديد ، وتكشف العودة إلى الأصول الأولى للدلالة عن طبيعة البيئة العربية بمحتوياتها وأشيائها وطريقة العيش فيها.

ولابد للدارس والمطالع للمعجمات العربية من أن يدرك أن كثيرا من المعاني التي تطورت دلالتها هي في الأصل مأخوذة من صور البادية وأشيائها، وقد سهل هذا الطريق أمام علماء اللغة عند بحثهم عن أصل المعنى .

فحب الكريم وبغض اللئيم من عادات العرب، وربَما تكررت في صحارى العرب المقفرة صورة رجل يرضع الغنم ويحلبها ليلا؛ لئلا يسمع جاره صوت الحَلْب، فيأتي لطلب شيء من اللبن، وتلك أقصى درجات اللؤم، فتطورت لفظة (الراضع والرضيع) إلى معنى جديد بعيد كل البعد عن أصل الدلالة من الذي يرضع إلى الدلالة على اللئيم والخسيس تأكيدا للؤمه ومبالغة في ذمه، فكأنه كالشيء يُطبع عليه، وجاء في الحديث: ((أسلمها الرَضاع وتركوا المصاع)) ((ينظر: لسان العرب/ : ابن منظور/ إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي /دار لسان العرب/ بيروت:١/ ١١٧٧ (ر ض ع))

قال أبو موسى المديني الرضاع : ((اللئام، قيل سُمي به لأنه للؤمه يرضع الغنم ولا يحلبها ليلا، لئلا يُسمع صوت اللبن))(المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث / لأبي موسى المديني / تحقيق: عبد الكريم الغرباوي/ معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي / مكة المكرمة/ الطبعة الأولى/ ١٩٨٩/٧٦٨:١، وينظر: غريب الحديث/ لأبي سليمان الخطابي (ت٣٨٨هـ)/ تحقيق عبد الكريم الغرباوي/ معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي / مكة المكرمة/ ١٩٨٢م:١/٥٨٠)

وتطورت دلالة (المُفرج) من الناقة التي تضع ولدها بعسرة وهي صورة يكثر أن يراها العربي في بيئته البدوية إلى المكدود بدفع الدَية ، يقول الزمخشري : ((أصله من أفرج الولد الناقة ففرجت ، وهي أن تضع أول بطن حملته فتنفرج في الولادة ، وذلك مما يجهدها غاية الجهد ، وأنشد ابن الأعرابي :

أمسى حبيبٌ كالفَريج رائخا

أي صار كهذه الناقة مجهودا معييا. والرائخ : المعيي، ومنه قالوا للمجهود: الفارج، ولما كان الذي أثقلته المغارم مجهودا مكدودا قيل له مُفرج... والمثقل بالحقوق مغموم مكروب إلى أن يخرج عنها)). (الفائق في غريب الحديث / لجار الله الزمخشري تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم / الطبعة الأولى / دار إحياء الكتب العربية القاهرة١٩٤٨: ٢/٢٥٥.٢٥٦)

وهكذا تطورت دلالة (المُفْرَج) من الناقة التي تضع ولدها بعسرة إلى المكدود بدفع الدية وهذا الانتقال الدلالي مأخوذ من الشيء الذي يكثر أن يراه العربي في بيئته البدوية مع الإبقاء على خيط دلالي يربط القديم بالجديد.

و(المبلاس هي الناقة التي ترغو من شدة الضبعة))(الفائق في غريب الحديث:١/٣٢) والإبلاس مصدر قولهم : أبلس الرجل إذا قُطع فهو أبلس من رحمة الله أي أويس كما أُويس إبليس وهو مشتق من ذلك ، وفي الحديث الشريف (فتأشب أصحابه حوله وأبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة)) ، ومعنى أبلسوا ((سكتوا ، والمبلس : الساكت من الحزن أو الخوف، والإبلاس الحيرة))(النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات تحقيق طاهر الزواوي ومحمود الطناحي/ دار إحيـاء الكتب العربية/ الطبعة الأولى / مصر ١٩٦٣: ١/١٥٢).

وهكذا سجلت كتب اللغة والمعاجم انتقال دلالة الإبلاس من حيرة تصيب الناقة عند اشتداد الجدب إلى حيرة يأس تصيب الإنسان إذا انقطع أمله ورجاؤه في الشيء الذي يحرص عليه.

وأبرز ما تعانيه البيئة البدوية في صحارى العرب هو (الجدب) وقلة المطر، وقد اتخذ التطور الدلالي وجهات فرضتها البيئة التي ظل العربي عالقا بها كنسق مخبوء يؤثر في تطور دلالات الألفاظ ولا تنفك عنه .

ف (للمطر أسماء كثر في العربية ، منها الرِّك : المطر الضعيف الذي لا نفع فيه، والتبعة: المطر بعد المطر ، الرش: القطر القليل الخفيف، والوابل : اغزر المطر وأعظمه والجود: المطر الكثير، والعهد: أول المطر، وغيرها. (ينظر: التلخيص في معرفة أسماء الأشياء/لأبي هلال العسكري (ت ٤٠٠هـ) / تحقيق عزة حسن/ دمشق١٣٩٠هـ ١٩٧٠م ١/٤٣٢.٤٣٥)، وقد جاءت هذه الأسماء لأن العرب أحبوا المطر وترقبوه ووجدوا في انعدامه افتقارا للعشب

وموتا للحيوان والماشية. (ينظر التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد يوم القيامة/ ابتسام مرهون الصفار / مطبعة الآداب / النجف ١٩٦٦م: ٢٧٦.٢٧٧)

وقد استحدث العرب بعض الألفاظ التي كانت تدل على المطر ثم تطورت دلالتها لتناسب حاجات العرب، وعند مراجعة أصول هذه الألفاظ نجدها تتفق في الدلالة على الحياة والاستقرار ، فالحيا في الحديث الشريف ((اللهم اسقنا مغيثا وحيا ربيعا))(الحديث في سنن أبي داوود (باب صلاة الاستسقاء): ١/١١٥)، الخصب وما يحيا به الناس وهو مقصور والحيا المطر الكثير الواسع)) (الغريبين غريب القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي تحقيق محمود محمد الطناحي/ القاهرة ١٩٧٠م) ، وقيل إن الحيا كثرة الغيث (كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ لأبي يعقوب بن اسحق السكيت (ت ٢٤٤هـ) تهذيب الشيخ الإمام أب زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي وقف على طبعه وضبطه وجمع رواياته الأب لويس شيخو/ بيروت المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٨٩٥م)، وقال الأزهري : ((أحيا القوم إذا أُمطروا فأصاب دوابهم العشب وسمنت))(تهذيب اللغة: ٥/٢٩١(حيي)

مما تقدم نجد أن دلالة (الحيا) تناوحت بين الغيث والخصب ، لأن ما أراده العربي من تطوير دلالة(الحيا) من الحياة نقيض الموت إلى دلالة الغيث، ما يؤول سقوطه على الأرض من إحياء للزرع والضرع ومن ثم توافر أسباب استقرار الإنسان ، وذلك أمر له أهميته في البيئة العربية.

كما نجد أن (سكن قد تطورت دلالتها من معنى القوت ، فالسكن ضد سكن الشيء يسكن سكونا إذا ذهبت حركته(ينظر لسان العرب: ٢/١٧٣(سكن)) وسكن بالمكان أقام به ، قال كثير عزة (ديوان كثير عزة / تحقيق أحسان عباسم دار الثقافة/ بيروت:٤١٩)

وإن كان لا سُعدى أكالت سُكُونه ولا أهل سُعدى آخر الدهر نازلهْ

يقال سكن في الموضع سكونا، إذا نزل فيه : ومن ذلك قولهم فلان سكني الذي أسكن إليه. (الاشتقاق لأبي محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام هارون/ الناشر مكتبة الخانجي / مصر.)

قال أبو هلال العسكري: ((السكون خلاف الحركة وإنما يستعمل في غيره مجازا)) (الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري(ت ٤٠٠هـ) / منشورات دار مكتبة الحياة/ بيروت لبنان/ الطبعة الثالثة١٩٧٩م :٢٥٥) أي إنه استعمل لمعنى النزول والإقامة والسكن الروحي مجازا، وقال الزمخشري: ((السكن: القوت ؛ لأن السكنى به كما قيل: النزل ، لأن النزول يكون به))(الفائق: ١/٣١٨)، والنزل هو طعام القوم الذي ينزلون عليه، مما يعنى أن السكن لا يكون

إلا بوجود القوت، يقول الهروي: السكن بمنزلة النزل إذا هذا نزل ، نزل القوم أي طعامهم الذي ينزلون عليه)).(الغريبين(المخطوط): ٣٣٨.

مما تقدم يكون السكن بمعنى القوت آتيا من سكون النفس واستقرارها عند نزول المطر لأنه هو الذي يحيي الأرض بتوفيره الغذاء للإنسان وحيوانه، لذا جاء الفعل (أنزل) مع السكن، والنزول حقيقي مع المطر وهو مجاز مع القوت.

وتأخذ البلاد التي لا يسقط فيها المطر فييبس محَلُها وتنعدم خُضرتُها صفة (الموت) ، قال تعالى: ((يحيي الأرض بعد موتها)) (سورة الروم٥٠) وجاء في الحديث الشريف (اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت) (الحديث في سنن أبي داوود كتاب الاستسقاء:١/١١٦)، فموت البلاد كناية عن حالها هذا.

وقد احتاج الإسلام إلى معانٍ جديدة تدل على مضامينه الفكرية التي بثها في المجتمع فما كان إلا أن يغترف من صور تلك البيئة للتعبير عن مبادئه الجديدة، فإغلاق الظهر صورة متكررة في صحارى العرب ومختصة بالبعير إذا دَبَر وأثقله صاحبه بالأحمال، ولكنه في الحديث شبَّه العبد الذي تثقله الذنوب يوم القيامة بحال هذا البعير (لسان العرب: غ ل ق) من غير إلماح لها فكأنها حقيقة فيه وليست مجازا مما يجعلنا نقول إن دلالتها تطورت.

وهنا يجب التنبيه على مهمة السياق في تحديد المعنى الجديد؛ لأن الكلمة لامعنى لها خارج سياقها(التفكير اللغوي/ كمال بشر/ دار الثقافة العربية/ القاهرة :١٣٥)، فوغرة الصدر جاءت من الهاجرة حينما تكون الشمس في كبد السماء وتشتد حرارة الصحراء، فيرى الإنسان كأن وغرة أصابت السماء لشدة الحر(لسان اللسان: (و غ ر) ومن ذلك اشتق وَغَرَ صدره عليه يَوْغَرُ وَغرا يَغِرُ؛ إذا امتلأ حقدا وغيظا (ينظر: لسان العرب(و غ ر) ، وذلك المعنى الجديد المشتق من البيئة العربية يحدد سياق الكلام في تعلق المعنى بالبيئة وشدة حرارتها أو بالإنسان وشدة حقده وغيضه على شخصٍ ما ولا يستغلق فهم كل معنى فلكل منه سياقه الذي يتحدد فيه مدلوله.

لقد عكس التطور الدلالي في انساقه المخبوءة طبيعة البيئة العربية، يقول ابن طباطبا :((واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها ، وأدركه عيانها ومرت به تجاربها وهم أهل وبر صحونهم البوادي وسقوفهم السماء ، فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها))(عيار الشعر/ لمحمد بن أحمد بن طباطبا/ تحقيق: د. طه الحاجري و محمد زغلول القاهرة / المكتبة التجارية/ ١٩٥٦)

لقد جاء الشعر العربي وصفا لحياة العرب وما أدركته عيانها من صور تشبيهات في بوادي العرب وكذلك الألفاظ جاءت لتعبر عن أوصاف بيئة العرب وتشخصت خصوصية ألفاظها عبر تطور دلالاتها.

ب . نسق المرأة المهمشة:

من يراجع معجمات العربية يجد أن كثيرا من الصفات قد ألقيت على المرأة من دون أن نجد لها مثيلا عند الذكر، ولاسيما في الصفات غير المحمودة وهذه الصفات تعود في الأصل الى طبيعة البيئة الصحراوية وعاداتها التي تمدح المرأة في صفات خاصة تحددها البنية الثقافية للمجتمع وهي بنية فحولية دونية، لا تنظر إلى الأنثى إلا مجرد جسد وجد لإرضاء الرجل وشهواته (الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي :٩٦) وقد سجلت اللغة هذه النظرة ناهيك عما أضافه أصحاب المعاجم أنفسهم من تفسيرات وتحليلات للأصول الدلالية لمثل هذه الألفاظ، إذ ظلت هذه التفسيرات والتحليلات الدلالية لأصول الدلالة ومورد التطور فيها لا ينفك عن هذه النظرة.

فالمرأة السليطة اللسان من أشد الصفات استنكارا في المجتمع الفحولي وإلى يومنا هذا؛ لذا نجد أن هذه الصفة يمكن أن تشتق من كثير من صور الحياة البدوية عند وجود الصورة الاستعارية التي يمكن اشتقاق هذه الصفة منها، وتكاثر هذه المعاني يعنى شدة إنكارهم للمرأة التي ربّما لا تكون هذه صفة سلبية فيها بقدر ما يمكن أن تكون هذه المرأة قادرة على التعبير عن حقها ورأيها بقوة لا يطيق سماعها الرجال، ويجدون في ذلك تجاوزا لفحولتهم فينكرونها في المرأة، ولكنها عند الرجال تكون محمودةٌ، ونلاحظ في شعر الغزل صوت الرجل المحب واضح وجلي ، ولانجد للمرأة التي تبادله الحب أي صوت ، فكأن هناك اتفاقا ضمنيا على ملازمة الصمت لجمال المرأة ، فإذا تكلمت ذهب جمالها ، ولعل هذا هو سبب استنكارهم للمرأة المتكلمة ووصمها بسلاطة اللسان كي تسكت ومن ثم تهمش.

مثال ذلك ما جاء في لسان العرب ((وربما قيل للمرأة السليطة (سلقة) ، وامرأة سلقة فاحشة))(لسان العرب: (س ل ق)، والمعنى متأتٍ من قولهم سلقت اللحم عن العظم إذا انتجيته عنه، ومنه قيل للذئبة سلقة، والجمع سُلّق وسَلّق... والذكر سلق والجمع سَلقان وسُلقان .(ينظر لسان العرب (س ل ق))

ونجد في نفس المادة اللغوية ((ومن السلق رفع الصوت قولهم خطيب مسلق . وسلقه بالكلام سلقا إذا هو شدة القول باللسان ، وفي التنزيل سلقوكم بألسنة حداد)) أي بالغوا فيكم بالكلام وخاصموكم في الغنيمة أشد مخاصمة وأبلغها ، أشحة على الخير أي خاطبوكم في الغنيمة أشد مخاطبة وهم أشحة على المال والغنيمة ... وخطيب سلاق بليغ في الخطبة.. يقال: مسلق ومسلاق إذا كان نهاية في الخطابة ... ويروي المسلاق . ويقال خطيب مسقع مسلق؛ والخطيب المسلاق : البليغ وهو شدة صوته وكلامه))(لسان العرب (س ل ق)، فصاحب المعجم عندما تعلق المعنى بصفة للمرأة ووصفه إياها بأنها (سلقة) ذكر أن أصل الدلالة متأت من تسمية الذئبة بـ (سلقة) لأنها تسلق لحم فريستها أي تجرده عن العظم ، ولكن وصف الرجل بأنه (سلق وسلاق) فذاك يعني شدة القول باللسان وإذا قيل للخطيب أنه (سلق وسلاق)، فذاك يعني أنه مفوه وبليغ (ينظر لسان العرب (س ل ق))

والحق أن أصل الدلالة واحد ولكن المجتمع الذي ينتظر من المرأة أن تسكت عن حقها ولا تفصح عن رأيها هو من يرى الصفة نفسها حسنة عند الرجال مذمومة عند النساء . وهذا هو النسق المضمر الذي تحكم في توجيه تطور المعنى واشتقاق كثيرمن الألفاظ والدلالات.

وبذلك اسهمت اللغة وفلسفتها في تشكيل معايير للنجاح (هنا النجاح كخطيب) للرجل تختلف عن تلك التي للمرأة رائدهم في ذلك أن خيار خصال النساء شرار خصال الرجال ، فيكون هناك دائما سبب لإفشال المرأة التي لها نفس خصال الرجل بأن جعلها العامل الثقافي والاجتماعي غير مقبول منها وجدير بالمدح ان كان في الرجل .

ويلقي النسق الفحولي صفات مذمومة على المرأة لا يشملها الرجل، فالمرأة (البلقعة) كما تذكر معناها المعجمات العربية هي المرأة الخالية من الخير المتصفة بأخلاق سيئة وطبع رديء ، تشبيها لها بالمكان الخالي والأرض التي لا شجر فيها، وتكون هذه الأرض في الرمل وفي القيعان.(ينظر لسان العرب: ب ل ق ع)، أما الرجل فلا يكون(بلقعا)

و(السلفع) الشجاع الجريء الجسور، أما المرأة السلفع فهي البذيئة الفحاشة القليلة الحياء ، وفي الحديث (شر نسائكم السلفعة) وهي الجريئة على الرجال وأكثر ما يوصف بها المؤنث وهو بلا(هاء) أكثر، ومنه حديث ابن عباس في قوله تعالى: ((فجاءتـــه إحداهما تمشي على استحياء))، قال : ليست بـ (سلفع) (ينظر : لسان العرب: س ل ف ع)

فالرجل (السلفع) هو الشجاع الجريء الجسور وهي صفات محمودة ، أما المرأة (السلفع) فهي من شرار النساء لأنها جريئة على الرجال وبذيئة وقليلة الحياء، وكلها صفات لا تقبلها الفحولة في المجتمع العربي.

ومن مادة (زع ج) اشتقوا للمرأة وصف (المزعاج) وهي ((المرأة التي لا تستقر في مكان))(لسان العرب : (ز ع ج))، والإزعاج نقيض الإقرار ؛ يقال أزعجته في بلاده وانزعج قليلا ؛ ولو قيل انزعج وازدعج لكان قياسا ، ولا يقولون أزعجته فزعج؛ والاسم : الزَّعج ؛ قال ابن دريد: ((يقال زعجه وأزعجه إذا أقلقه والزعج: القلق. وقد أزعجه المر إذا أقلقه وفي حديث أنس : رأيت عمر يزعج أبا بكر إزعاجا يوم السقيفة أي يقيمه ولا يدعه يستقر حتى بايعه...(لسان العرب : (ز ع ج)). لقد خُصت المرأة بهذه الصفة حتى في المعاجم الحديثة فالمزعاج صيغة مبالغة على وزن (مفعال) يمكن أن تطلق على الرجل ولكنهم لم يشلموا الرجل بها وقصورها على الأنثى فهل هو من صنيع أصحاب المعجمات أو أن اللغة في لا وعيها الجمعي أرادت ذلك؟. والذي يبدو لي أن أصحاب المعجمات قد أسهموا اسهاما فاعلا بمشاعرهم الذكورية في تعميق المعاني المهمشة للمرأة.

ج . نسق الذهن العربي:

إن اللغة لا تنفصل عن الخبرة الإنسانية التي تشكلها التجربة ، والتي تؤثر في الطريقة التي ندرك بها الأشياء ونصوغ بها مفاهيمنا المختلفة، فالتعبير عن الأشياء والمفاهيم وهو بعد لغوي يتأثر بلا شك بكفية إدراكها ٠فاللغة ليست مستقلة أو مغلقة على ذاتها، إذ لا يمكننا وصف نظامها الداخلي وصوغ قواعده وقوانينه بمعزل عن البيئة التصورية أو المعرفية التي تؤسس لمبادئ عامة في الخبرة البشرية تؤثر مباشرة في بنية المبادئ المختلفة (ينظر: آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي / لطيفة ابراهيم النجار مجلة جامعة الملك سعود م ١٧ سنة ٢٠٠٤: ٥٠، مفاهيم عرفانية / د. عز الدين عماري ود. ربيع بو جلال/ مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب / م ٣/ عدد خاص٢٠١٩: ٦٤).

والتطور الدلالي في جزء كبير منه يأتي من المجاز؛ لأن الألفاظ محدودة والمعاني غير محدودة؛ إذ يتبدل معنى اللفظ بتغير الزمان والمكان وينتقل اللفظ من معنى إلى آخر محافظا على الاستعارة القاعدية التي تمثل نواة العملية الإبداعية وبها يتحقق الفهم لأنها واقعة ضمن المجال التصوري لأبناء اللغة أما إذا كانت خارجة عنه فلا يمكن عدّها استعارة لأنه لا يمكننا فك رموزها لكونها غير منسجمة مع النمط الثقافي للغتنا الذي يتحكم بأنساقنا التصورية ورؤيتنا للعالم من حولنا.(ينظر: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني/ محمد الصالح البو عمراني مكتبة علاء الدين / صفاقس ٢٠٠٩ ط١ مطبعة دار النهر: ١٩٧)

ويقول لايكوف ((فعندما لا يشترك الناس الذين يتحاورون في نفس الثقافة ونفس المعرفة ونفس القيم ونفس المسلمات، فإن الفهم المتبادل يكون صعبا))(الاستعارات التي نحيا بها / لايكوف وجونسن م تعريب عبد المجيد جحفة/ دار توبقال للنشر١٩٩٦: ٢١٦))

إن إدراكنا للوجود ليس متشابها ومنسجما، بل إن هذا الإدراك تختلف رؤيته من ثقافة إلى أخرى، وفي اللغة يتجلى النظام التصوري لهذه الثقافة ولكي يتحقق الفهم يجب أن يكون هناك انسجام وتوافق بين لغتنا التي نتكلم بها وأنساقنا التصورية التي تعكس ثقافتنا وتجربتنا في الحياة.

مما تقدم نجد أنه لا انفصال بين المعرفة اللغوية والتفكير البشري، فالمعنى بنية ذهنية في الدماغ (التلقي والانتاج في ضوء العرفنية تنظيم وإجراء/ صالح غليوس/ البدر الساطع للطباعة والنشر / الدار البيضاء/ المغرب/ ط١/ ٢٠٠٠)

ولأن المجاز من أهم الوسائل لتغيير المعنى ، لم يعد مقبولا اليوم دراسته تحت مظلة البلاغة بل ((صار يدرس على أنه بنية ذهنية مفهومية عميقة في ضوء منهج لساني عرفاني ذي وجهة معرفية نفسية ، وهذا المنهج أسهم في تجديد الدرس الدلالي؛ ولاسيما في باب تغير المعنى)) (مفاهيم لسانية عرفانية:/ مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب:٦٨)

فالتغير الدلالي هو ظاهرة ذهنية قبل أن تكون لغوية وعن طريقها يمكن إدراك الآليات التي يشتغل بها ذهن الكائن البشري (مفاهيم لسانية عرفانية:/ مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب:٦٨)

إن عملية تغير المعنى في الألفاظ العربية موجهة من الذهن الخاص للعربي، فهو الذي يرسم عوالم جديدة للفظ يستمدها من الإرث الحضاري للمعنى في اللاوعي الجمعي لأبناء اللغة ، وهذه العوالم قد تكون غير محسوسة ، ولكنها تفرض تطورا محددا بمنطلق معين ، فيأتي التغير الدلالي محملا بروح الإرث الحضاري الذي تحمله اللغة في ألفاظها ، ولا أدعي الوقوف على هذه العوالم وتحديد هذه المنطلقات ، ولكن أحاول تلمس بعضها مما أمكنني التعرف عليه وتشخيصه.

لقد عرف العرب بالميل إلى الإيجاز في الكلام وترك فضوله إلى جانب حب البلاغة ورفعة شأنها بينهم ، قال الجاحظ : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في الحديث ومنها ما يكون في الاحتجاج .. فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة)) البيان والتبيين/ لأبي عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)/ تحقيق عبد السلام هارون/ الطبعة الثالثة/ الكويت/ ١٩٦٨م:١ /١٠٨.١٠٩)

وقد كان العرب يأنفون من الرجل المهذار المكثر من الكلام ، يقول عمرو بن عبيد : ((إذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف، ولا خير في شئ يأتيك به التكلف))(البيان والتبيين: ١٠٩/١)

وعاب رسول الله(صلى الله عليه وآ له وسلم على((الفدادين والمتزيدين في جهارة الصوت وانتحال سعة الأشداق ورحب الغلاصم وهدل الشفاه)) (البيان والتبيين: ٢٦/١) ، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: ((أبغضكم إلي الثرثارون المتفيقهون))(الحديث في سنن الترمذي(كتاب البر والصلة): ٣٧٠/٤)

والثرثار هو الرجل المتشدق المكثر من الكلام أُخذ هذا المعنى من الشاة أو الناقة واسعة الإحليل وتسمى (ثَرّة أو ثَرور)، وهي التي يخرج لبنها بسرعة وغزارة إذا حلبت، ويقال عين ثَرّة وثَرارة، وثرثارة غزيرة الماء وسحاب ثَرٌّ ، اي كثير الماء وعينٌ ثَرّة كثيرة الدموع وطعنة ثَرّة واسعة ، وقيل ثَرّة كثيرة الدم على التشبيه بعين الماء(ينظر لسان العرب:٣٥٣/١(ث ر ر).

والمتفهيق في أصل دلالته هو الامتلاء ، وجاء في الحديث ليؤدي معنى الذي يتوسع في كلامه ويملأ فمه به (ينظر: مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ت ٣٩٥هـ) / تحقيق عبد السلام هارون/ ط٢/ شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلب وأولاده بمصر / ١٣٩٢. ١٩٧٢م: مادة (ف هـ ق).

وتصف العربية المتشدق المكثر من الكلام بصفة(المتهارت) التي أُخذت من هرت الشدق ، يقال رجل أهرت وقوم هُرْت، يقول ابن مقبل (ديوان ابن مقبل / عنى بتحقيقه : د. عزة حسن / مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم / دمشق١٣٨١هـ . ١٩٦٢م)

عادت الأذِلّةُ في دارٍ وكان بها هُرْتُ الشَّقاشِقِ ظلامون الجُزُرِ

هرت ثوبه هرتا إذا شقه الهَرَتُ محركة : سعة الشدق (الهَرِيت) الواسع الشدقين . وقد هَرِت كـ (فَرِح)، وهو أهرت الشدق وهريته. ويقال للخطيب من الرجال: أهرت الشقشقة، وجاء في الحديث لا تحدثنا عن متهارت : أي متشدق مكاثر من هرت الشدق وهو سعته.(ينظر لسان العرب: (هـ ر ت)

إن إدراك العربي لمعنى المكثرين من الكلام والمتشدقين به يتحرك في حيز الكراهة في ذهنه؛ إذ تتردد صورة لفم متضخم يبدو كأبرز شيء في صاحبه ، يفيض فمه بالكلام ويطفح به، فاختار لها الألفاظ التي في أصل دلالتها لها معنى السعة والكثرة المذمومة لا الممدوحة، فنجح في إدامة التواصل بين المعنى الأولي والمعنى الذي تطورت له اللفظة دلاليا

ودأبت العرب في الكناية عن النساء بالإزار واللباس قـال تعالى : ((هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)) (البقرة ١٧٨) ، يقول الراغب الأصفهاني ((وجعل اللباس لكل ما يغطي من الإنسان عن قبيح فجُعل الزوج لزوجه لباسا من حيث أنه يمنعها ويصدُّها عن تعاطي قبيح)) (معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / تحقيق: نديم مرعشلي/ دار الكتاب اللبناني: ٤٦٧) .

والحق أن النساء هن من وردت الكناية عنهن بالثياب والإزر، جاء في لسان العرب: ويكنى عن النفس وعن المرأة بالإزار، ومنه قول نفيلة الأكبر الأشجعي:

الا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخي ثقة إزاري(لسان العرب (أزر)

فكان الأجدى من الراغب الأصفهاني أن يقول أن (المرأة) هي أيضا جُعلت لباسا لزوجها من حيث أنها تمنعه وتصده عن تعاطي القبيح، وليس العكس فقط، لأن القرآن الكريم لم يخص الرجل وحده بكناية (الإزار) بل قدّم المرأة

وجعلها أزر الرجل قبل أن يكون الرجل أزرا لها ، وفي حديث بيعة العقبة :(لنمنعك مما نمنع أزرنا)(مسند ابن حنبل (مسند المكيين :٣٥٩/٥)أي نساءنا وأهلنا، فكنى عن النساء بالأزر، وقيل أراد أنفسنا ، ويقول ابن سيده: إن الإزار هو المرأة على التشبيه. (ينظر لسان العــرب(ازر)

وتأتي الكناية عن النساء؛ لأن العربي لا يحب ذكر امرأته قبالة الأجانب، قال الأصمعي : ((ولا تكاد العرب تقول زوجته))(الأمالي لأبي علي القالي/ دار الكتب المصرية /١٣٤٤هـ ١٩٢٦م: ٢٠/١)؛ لذا تكاثرت الألفاظ التي ترادف أسماء امرأة الرجل ،ومنها : حليلة الرجل ، وعرس الرجل ، والقرموط، بعله، شهله، جثلته، رَبَضَهُ، رُبْضُهُ، وطلته، ومُعَزِبَتهُ... وغيرها.(ينظر الأمالي: ٢٠.١٩/١)

إن إنضواء المرأة في مقولة الثياب واللباس لم يأت مصادفة في اللغة العربية بل جاء لأن العربي ينظر إلى المرأة بأنها شرفه وشرف قبيلته وهن حافظات أعراض الرجال كما تحفظ الثياب جسد الإنسان عن إبداء عوراته. ، وبهذه الخاصية تعالق وترابط لفظ النساء مع لفظ الثياب في واحد من الطرز التي يتأسس عليها الذهن العربي. وذلك ما مهد الطريق أمام التغير الدلالي وجعله مقبولا وسائغا.

وقد سجلت كتب غريب الحديث وتابعتها المعاجم العربية استعمال لفظة (الحُلة) كناية عن المرأة ، جاء في حديث علي (ع) أنه بعث ابنته أم كلثوم إلى عمر لسان العرب: (ح ل ل). لما خطبها فقال لها قولي له هل رضيت الحُلَّة))(النهاية : ١/ ٤٣٣)

والحُلَّة هي ((كل ثوب جديد تلبسه غليظ أو دقيق ، ولا يكون إلا ذا ثوبين ،وقال ابن شميل : الحُلَّة القميص والإزار والرداء ولا تكون أقل من هذه... وقال ابن الإعرابي: يقال للإزار والرداء حُلِّة، ولكل واحد على انفراده حُلَّة))(

إن دلالة الحُلَّة لم تتغير إلى الدلالة على المرأة ولكننا وقفنا عندها لنبين أن أذهان العرب لا تجد ظلما للمعنى إذا استعمل أي لفظة تدل على الثياب في الدلالة على المرأة، مما يعنى أن أذهان العرب كانت تتعامل مع النساء ضمن رمزية الثياب وهذه المعالجة الرمزية التي يتعامل بها الذهن العربي متحصلة من علاقة الأشياء في العالم الخارجي، وهو ما نسعى إلى إثبات بعض منه.

وترتبط دلالة (العهد) بـ (الحبل) في ذهن العربي ، والحبل الرباط والسبب، ويؤدي دلالة العهد والذمة والأمان، قال الشاعر:

مازلت معتصما بحبل منكم من حل ساحتكم بأسباب نجا

بحبل، أي بعهد وذمة (ينظر : تهذيب اللغة / لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) / تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين / المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر/ دار القومية العربية للطباعة/ القاهرة/١٣٨٤هـ ١٩٦٤م ١٣٨٨هـ ١٩٦٨)

وأصل الحبل ينصرف في كلام العرب إلى وجوه منها (العهد)، قال تعالى:

((واعتصموا بحبل الله جميعا))(ال عمران١٠٣) ، فالحبل هو العهد الذي يصلكم بالله سمي العهد حبلا لأنه يوصل من تمسك به إلى الأمر الذي يَؤُمُهُ من إبرامه (ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس/ لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) / دار الشؤون الثقافية العامة/ العراق / بغداد١٩٨٧م)، وهذا هو مورد الاستعارة التي يألفها ذهن العربي لذا ساغ مجيء لفظ (الحبل) بمعنى (العهد).

وتأتي الاستعارات المجازية في العربية لتوكد العلاقة المتجذرة في الذهنية العربية بين دلالة العهد والحبل، فـ (الربق : هو الخيط أو الحبل والحلقة التي تشد بها الغنم الصغار ، لئلا ترضَع والجمع أرباق ورِباق))(لسان العرب :(رب ق))، جاء في الحديث الشريف:(لكم العهد مالم تأكلوا الرباق)(لم أجد الحديث في كتب الصحاح وهو في النهاية : ٢/١٩٠).

فالحديث الشريف استعار الرباق للدلالة على مايلزم الناس من العهود لأنها تلزمهم كلزوم الحبل لعنق الناقة التي إذا أكلت الربق خلصت من الشدّ ، والمعنى المراد بالحديث الشريف مالم تنقضوا العهود، ويقول أبو السعادات: ((شبه مايلزم أعناقهم من عهد الإسلام وعقده بالربق في أعناق البهم ، وشبه نقضه بأكل البهْمَة ربقها وقطعه والذهاب حيث شاءت))(منال الطالب / لأبي السعادات مجد الدين ابن الأثير/ تحقيق محمود محمد الطناحي / مركز البحث العلمي/ مكة المكرمة/ ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م). ويبدو أن ماجاء في الحديث أول استعمال للرباق بدلالة العهد مجازا؛ ولكن العرب الذين كانوا وقتئذ لم يعجزهم فهمه؛ لأن هذه الاستعارة لم تخرج عن النمط الثقافي للعرب التي هي ((نتاج التجربة الإنسانية ونتاج تفاعل الفرد مع محيطه ، لذلك فمراعاة الأعراف والتقاليد اللغوية الجارية أمر لا مفر منه في عملية انتاج الاستعارة ، حتى تتحقق عملية الفهم والإفهام))(دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني:١٩٨)

وترى الثقافة التي بني بها الفكر العربي في جوهره أن الانبعاث في المعاصي ميلانا عن الطريق المستقيم الذي هو طريق الشرف والخلق الرفيع؛ لذا نجد العرب في كلامهم يتخذون لفظة(فاجر) للدلالة على هذا المعنى وهي في أصل دلالتها تدل على (الميلان)، قال لبيد: (شرح ديوان لبيد بنأبي ربيعة العامري/ تحقيق ك احسان عباس/ وزارة الارشاد والأنباء م الكويت ١٩٦٢: ٢٢٢)

فان تتقدم تغش منها مقدما * غليظا وإن أخرت فالكفل فاجر

فاجر: مائل ، وقيل للكاذب فاجر ؛ لأنه مال عن الصدق ، ، جاء في حديث عمر بن الخطاب (استحمله اعرابي وقال إن ناقتي قد نَقَبَتْ، فقال له: كذبت ولم يحمله، فقال:

اقسم بالله أبو حفصٍ عُمرْ ما مسها من نَقَبٍ ولا دَبَرْ

فاغفر له اللهم إن كان فَجَرْ)

(لم أجده في كتب الصحاح والحديث في النهاية ٣/ ٤١٣)

أي إن كان مال عن الصدق والحق وقد استعملت لفظة (الفاجر قبل الإسلام للدلالة على المنبعث في المعاصي والمحارم، قال الأعشى:(ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتحقيق : د. محمد حسين / مكتبة الآداب بالجماميزت/ المطبعة النموذجية): ١٤١

دعها فقد أعذرت في حبها واذكر خنا علقمة الفاجر

وفي الإسلام دلت لفظة (الفاجر) و (الفجور) على كل معصية وذنب من الأقوال والأفعال، وفي ذلك دلالة على (الميلان) عن طريق الله المستقيم الذي ارتضاه لعباده.

لقد حافظ الإسلام على نفس النمط الثقافي الذي تتوالد فيه اللغة العربية ولم يخرج عن أنساقها؛ لأن غايته التواصل بهذه اللغة، ولابد أن نقول أن علماء العربية على الرغم من عدم معرفتهم بما آلت إليه دراسة المعنى في عصرنا ولاسيما علم الدلالة العرفاني، فإنهم أدركوا وجود هذا التواصل الثقافي عبر حياة الألفاظ في اللغة العربية ، فسهل عليهم اكتشاف الأصل الدلالي لمعاني كثير من الألفاظ وكانت آراؤهم صائبة إلى حد بعيد.

خاتمة:

لقد ولدت هذه الدراسة بعد تأمل في كتب المعجمات العربية وكانت النتائج التي توصلت إليها قد استنتجتها قبل البدء بكتابة هذا البحث ، فقد جاء تتويجا لتلك الملحوظات التي سجلتها وأنا أتأمل الألفاظ، وأرى كيف تتبدل الدلالة وكيف يعالج علماء العربية المعنى ويدروسونه دراسة واعية فعرفوا أن البيئة المحيطة تؤثر في التغير الدلالي وتساعد في سعة المعنى الذي في اللفظة الواحدة وقدرة الذهنية العربية على تطويرها لتواكب احتياجاته وما يستجد من معان تتطلبها طبيعة حركة الحياة وسعي الناس في هذه الحياة.

إن قيم الإنسان ومبادئه ليست عائمة في الهواء، بل هي وليدة بيئته وطبيعة حياته في هذه البيئة ، واللغة تعبير عن الموروث الثقافي بدلالاته وقابليته على التطور والنمو ليعبر عن الذي يفرضه التغير المستمر في حياة الإنسان، ولكنها أبدا لا تخرج عن الطراز الذي يتأسس عليه الذهن العربي وطريقته في مقولة أسماء الأشياء ،لأن الاخلال بهذا والخروج عن هذه الطرز يجعل التطور الدلالي غير مفهوم لكونه خارجا عن طراز الذهن العربي في فهم العالم ومقولته..

المصادر والمراجع:

١. الاستعارات التي نحيا بها / لايكوف وجونسن م تعريب عبد المجيد جحفة/ دار توبقال للنشر١٩٩٦.

٢. الاشتقاق لأبي محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام هارون/ الناشر مكتبة الخانجي / مصر).

٣. الألسنية علم اللغة الحديث/ ميشال زكريا/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر/ الطبــعة/ بيروت/١٩٨٣.

٤. آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي / لطيفة ابراهيم النجار مجلة جامعة الملك سعود م ١٧ سنة ٢٠٠٤.

٥ . الأمالي لأبي علي القالي/ دار الكتب المصرية /١٣٤٤هـ ١٩٢٦م.

٦. الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي،، بيداء العبادي/ دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ط١، بغداد٢٠١٣.

٧. البيان والتبيين / لأبي عثمان الجاحظ (ت٢٥٥هـ) / تحقيق : عبد السلام محمد هارون / ط٣ /الكويت ١٩٦٨م.

٨. التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد يوم القيامة/ ابتسام مرهون الصفار / مطبعة الآداب / النجف ١٩٦٦م .

٩. التفكير اللغوي/ كمال بشر/ دار الثقافة العربية/ القاهرة.

١٠ . التلخيص في معرفة أسماء الأشياء/لأبي هلال العسكري (ت ٤٠٠هـ) / تحقيق عزة حسن/ دمشق١٣٩٠هـ ١٩٧٠م

١١. التلقي والانتاج في ضوء العرفنية تنظيم وإجراء/ صالح غليوس/ البدر الساطع للطباعة والنشر / الدار البيضاء/ المغرب/ ط١

١٢. تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) / تحقيق: عبد السلام محمد هارون وآخرين/ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر/ دار القومية العربية للطباعة / القاهرة ١٩٦٤. ١٩٦٨).

١٣. خصائص التطور الدلالي/ سيد مصطفى أبو طالب/ ((www.aluka.net)) بحث مسحوب من شبكة الانتر نت.

١٤. دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني/ محمد الصالح البو عمراني مكتبة علاء الدين / صفاقس ٢٠٠٩ ط١ مطبعة دار النهر.

١٥. دور الكلمة في اللغة/ تأليف ستيفن أولمان/ ترجمة كمال محمد بشر / الناشر مكتبة الشباب

١٦ . ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتحقيق : د. محمد حسين / مكتبة الآداب بالجماميزت/ المطبعة النموذجية): ١٤١

١٧ ديوان ابن مقبل / تحقيق عزة حسن / مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم / دمشق/ ١٣٨١هـ . ١٩٦٢م.

١٨. ديوان كثير عزة / تحقيق: أحسان عباس/ دار الثقافة/ بيروت.

٢٠. الزاهر في معاني كلمات الناس/ لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) / دار الشؤون الثقافية العامة/ العراق / بغداد١٩٨٧م

٢١. الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري مؤسسة الرسالة بيروت. ط١٩٩٧،٨.

٢٢. شرح ديوان لبيد بن أبي ربيعة العامري/ تحقيق ك احسان عباس/ وزارة الارشاد والأنباء م الكويت ١٩٦٢..

٢٣. علم الدلالة، كلود وجرمان وريمون لوبان، ترجمة هدى لوشن، دار الفاضل، دمشق١٩٩٤

٢٤. علم الدلالة: أحمد مختار عمر/مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع/ ط١/ ١٩٨٢م)

٢٥. عيار الشعر/ لمحمد بن أحمد بن طباطبا/ تحقيق: د. طه الحاجري و محمد زغلول القاهرة / المكتبة التجارية/ ١٩٥٦

٢٦. غريب الحديث/ لأبي سليمان الخطابي (ت٣٨٨هـ)/ تحقيق عبد الكريم الغرباوي/ معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي / مكة المكرمة/ ١٩٨٢م).

٢٧. الغريبين غريب القرآن وغريب الحديث لأبي عبيد الهروي/ تحقيق: محمود محمد الطناحي / القاهرة/ ١٩٧٠

٢٧. الفائق في غريب الحديث: ٢/٢٥٥. ٢٥٦لجار الله الزمخشري تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم / الطبعة الأولى / دار إحياء الكتب العربية القاهرة١٩٤٨.

٢٨. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري(ت ٤٠٠هـ) / منشورات دار مكتبة الحياة/ بيروت لبنان/ الطبعة الثالثة١٩٧٩م

٢٩. كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ لأبي يعقوب بن اسحق السكيت (ت ٢٤٤هـ) تهذيب الشيخ الإمام أب زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي وقف على طبعه وضبطه وجمع رواياته الأب لويس شيخو/ بيروت المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٨٩٥م.

٣٠. لسان العرب/ : ابن منظور/ إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي /دار لسان العرب/ بيروت.

٣١. اللغة / فندريس/ ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص/

٣٢. مفاهيم عرفانية / د. عز الدين عماري ود. ربيع بو جلال/ مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب / م ٣/ عدد خاص٢٠١٩

٣٣. المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث / لأبي موسى المديني / تحقيق: عبد الكريم الغرباوي/ معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي / مكة المكرمة/ الطبعة الأولى/١٩٨٩ .

٣٤. معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / تحقيق: نديم مرعشلي/ دار الكتاب اللبناني م).

٣٥. مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ت ٣٩٥هـ) / تحقيق عبد السلام هارون/ ط٢/ شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلب وأولاده بمصر / ١٣٩٢. ١٩٧٢م

٣٦. مسالك المعنى دراسات في الأنساق الثقافية / سعيد بنكراد/ منشورات الزمن/ مطبعة بني ازناسن سلا . المغرب /٢٠٢٠م.

٣٧. مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية/ تأليف: لويس مير/ ترجمة: شاكر مصطفى سليم / ط٢ / بغداد / دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٢م.

٣٨. معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / تحقيق: نديم مرعشلي/ دار الكتاب اللبناني.

٣٩. منال الطالب / لأبي السعادات مجد الدين ابن الأثير / تحقيق محمود محمد الطناحي / مركز البحث العلمي م مكة المكرمة ١٤٠٠هـ . ١٩٨٠م.

٤٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات تحقيق طاهر الزواوي ومحمود الطناحي/ دار إحيـاء الكتب العربية/ الطبعة الأولى / مصر ١٩٦٣